مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 07 (عدد خاص)
أفريل 2023
ص ص 80-98

المراهق والفضاء الافتراضي: أزمة وضع أم تموضع؟

قراءة سوسيوثقافية لبعض مظاهر التنمّر السيبراني في مواقع التواصل الاجتماعي-

The adolescent and the virtual space: a crisis of status or positioning

A Socio-Cultural Reading of Some Aspects of Cyberbullying on Social Media Sites"

خديجي مختارية*

جامعة جيلالي اليابس-سيدي بلعباس (الجزائر).

البريد الالكتروني:khedidjimokhtaria@yahoo.fr

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/12/18	2023/03/26	2023/04/15

الملخص: يهدف هذا البحث إلى التعرّف على علاقة المراهقين بالفضاء الافتراضي، من خلال عرض بعض أشكال التنمر السيبراني في مجموعات مواقع التواصل الاجتماعي. وباستخدام المنهج الوصفي التحليلي تمّ التأكيد على العلاقة الارتباطية والانعكاسية بين مفهوم "العدوان الافتراضي" و"المراهقة" كمرحلة حساسة، وكذاتمظهرات التمرّد التكنولوجي على ذواتهم من خلال ثنائية "الوضع" (السياق العام) و"التموضع" (السياق الذاتي الخاص بالمراهق كوعي)،وقد تمّ التوصل إلى النتائج التالية: الفضاء الافتراضي يمارس عنفا على الذات المراهقة من خلال استحضار القيمة والقيمة المضادة في مجموعات التنمر السيبراني وانتقاله من الاستثناء إلى ثقافة تنمّر جماعية، وفي ضوء هذه النتائج تقترح الدراسة ضرورة تعزيز المناعة القيمية والوعي المعلوماتي لدى المراهقين للتكيّف بشكل سوي مع الفضاء الافتراضي ورهاناته.

الكلمات المفتاحية:*العدوان الافتراضي؛ المراهقة ؛القيم؛ التنمّر السيبراني.*

Abstract: The aim of this research is to explore the relationship between teenagers and virtual space, by examining some forms of cyberbullying in social media groups. Using a descriptive-analytical approach, the study emphasizes the interdependent and reflective relationship between the concept of "virtual aggression" and "adolescence" as a sensitive stage.Additionally, it highlights the manifestations of technological

* **المؤلف المراسل**

rebellion against oneself through the duality of "positioning" (the general context) and "status" (the adolescent's individual context).The study's results indicate that virtual space exercises violence on teenage selves by evoking opposing values in cyberbullying groups and transitioning from an exception to a culture of collective bullying.In light of these findings, the study proposes the necessity of strengthening teenagers' moral immunity and informational awareness to adapt more effectively to virtual space and its stakes.

Keywords: *virtual aggression ;adolescence; the values, cyber bullying*

مقدمة:

لطالما أعتبر التغيّر سمة لا يمكن إغفالها عند دراسة أي ظاهرة من الظواهر فالديناميكية الاجتماعية هي الأساس في وجودية ثنائية الإنتاج وإعادة الإنتاج ضمن أي سياق اجتماعي.

والواقع أنّ التغيّر عموما سواء كان ماديا أو معنويا، يساهم إلى حد كبير في خلق تلك الحلقة التي تجمع تدرجيا أو تزامنيا بين المادة والفكر.

وبين هذين الاثنين تتعدد أشكال التفاعل الاجتماعي وأنماطه، أين يتجلى لنا مظهرين من التفاعل في العصر الحديث: **التفاعل الواقعي** ضمن رؤية الفعل ورد الفعل والممارسة **والتفاعل الافتراضي** وفق نفس التمظهر لكن بمنطق مختلف.

وعليه يمكننا الحديث عن التواصل الافتراضي الذي ظهر كنمط جديد من التفاعل الاجتماعي والذي استوجبته التطورات الحديثة.

ورغم اختلاف الشكل إلاّ أنّ أفعال الواقعي انتقلت إلى الافتراضي بكل تفاصيلها.

فالتواصل صار افتراضيا والعلاقات أيضا والأفعال اللاسوية بدورها وجدت لها مكانا في العالم الافتراضي، لهذا أصبحنا نتحدّث اليوم عن شكل آخر من أشكال التنمر وهو التنمر السيبراني.

بل أصبحت العلاقات سائلة ولا تعرف إلزامية الرقابة ولا حدودية الزمان والمكان والقيمة، وبات من الواضح أنّ الفضاء الافتراضي أصبح فضاء لتفاعل المراهقين والشباب من كلا الجنسين وبامتياز.

ومن خلال هذا الفضاء تتجلى عديد الظواهر الاجتماعية ذات الأبعاد السوسيونفسية سواء تعلّق الأمر بإيجابيات الفضاء أو سلبياته.

إذ يعتبر التنمر السيبراني مظهر من مظاهر التمرّد التكنولوجي الذي بات يهدد الأمان العاطفي والمعرفي والقيمي للمراهقين والشباب على حدّ سواء، خاصة في ظل الواقع الرقمي الذي بات ضرورة ملحة في سياقهم الاجتماعي.

والواضح أنّ المراهقين باعتبارهم فئة خاصة لها خصوصيات استثنائية يمكننا النظر إليها باعتبارها خصوصيات انتقالية تحتّم علينا كمختصين النظر فيها بالبحث والتحليل لضمان انتقال سلس وآمن من فترة المراهقة لفترة أكثر نضجا ووعيا.

وهنا تكمن **أهمية الدراسة**، التي سنحاول من خلالها تسليط الضوء على واقع تفاعل المراهقين مع الفضاء الافتراضي، موضحين تمظهرات التمرّد التكنولوجي على ذواتهم من خلال ثنائية "الوضع" (السياق العام) و"التموضع" (السياق الذاتي الخاص بالمراهق كوعي).

وعليه تكمن أهمية الدراسة في محاولة إيجاد صيغة تحليلية لطبيعة العلاقة القائمة بين المراهقين في نطاق تفاعلاتهم والفضاء الافتراضي وعلاقة هذا بالتنمر السيبراني من جهة، وكذا البحث في تمظهرات القيّم الثقافية المستبطنة في شخصياتهم من خلال انتقالها إلى الفضاء الافتراضي، والذي يتحدد بموجبها معطى "الإقصاء الاجتماعي"، سواء تعلّق ذلك بالنوع الاجتماعي أو بقيمتي اليجب واللايجب أو بالمعنى المعياري.

خاصة وأنّ الإقصاء الاجتماعي في الواقع المعيش يحمل عديد التمظهرات منها ما هو متعلّق بالشكل ومنها ما هو متعلّق بالنوع الاجتماعي، ومنها ما هو متعلّق بالانتماء الفئوي والثقافي.

وعليه يتحدد سؤالنا الرئيسي في التالي: **كيف يمكننا استظهار القيمة والقيمة المضادة من خلال بعض تمظهرات التنمّر السيبراني في مواقع التواصل الاجتماعي؟**

وبتوجيه من **الفرضية العامة** التالية سيتم عرض الموضوع:

للتنمر السيبراني عدّة تمظهرات في مواقع التواصل الاجتماعي من خلال القيم المتناقضة التي تنعكس في مواضيع وأنماط التفاعل في المجموعات الافتراضية.

1.التنمّر من الواقعي إلى الافتراضي: المفهوم والأبعاد:

1.1 مفهوم التنمّر السيبراني:

بات من الواضح تماما أنّ العلاقات الاجتماعية تعرف نوعا من السيولة في نطاقي السياق والتغيّر، وذلك بتغيّر أنماط التواصل الاجتماعي وانتقالها من سياق المعيش لسياق الافتراضي، وأمام مستجدات الوضع الراهن، سعّت العلوم الاجتماعية للبحث في هذا التغيّر على عدّة مستويات وأصعدة، سواء تعلّق الأمر بالإيجابيات أو الباتولوجيات التي رافقت هذا التغيّر في نمط وأشكال العلاقات.

إذ يُعَدّ "التنمّر السيبراني" شكل من أشكال الباتولوجيا الاجتماعية، التي تزامنت في وجودها مع تطوّر أنماط التواصل الاجتماعي، "وقد أوجدت السهولة الكبيرة في الوصول إلى الأنترنت مع تزايد عدد مستخدمي تقنية الاتصال لدى الأطفال والمراهقين كما يشير "بوبوفيك سيتيك" Popovic-Citic (2011) فرصة لأن يتجاوز التنمر التقليدي حدود الحياة الواقعية وينتقل إلى العالم الافتراضي للاتصال، وقد أضافت التقنية إلى ترسانة الاستراتيجيات التي يمكن توظيفها بواسطة المتنمرين من أجل إلحاق الضرر بالآخرين (بندر، 2020، ص.28).

ولأنّ الأمر يتعلّق في حساسيته بفئة المراهقين في علاقتهم بالتنمّر السيبراني، فإنّ الرهان المجتمعي في دراسة الموضوع يلح علينا بضرورة البحث بكل جدية وفاعلية فيه خاصة وأنّ القاسم المشترك بين مفهومي "التنمر" و"المراهقة" هو مفهوم "الأزمة والعدوان".

وبالتالي بات من الضروري التأكيد على تلك العلاقة الارتباطية والانعكاسية بين المراهقين والفضاء الافتراضي، والتنمّر السيبراني كشكل من أشكال السلوكات السلبية

التي لازمت ولازالت تلازم المراهقين في مرحلتهم العمرية الحساسة في بناء الذات، وهو ما يجعلنا نتحدث عن نوع آخر من العنف وهو "عنف الأنترنت".

وعليه ووفقا لهذه الرؤية يمكننا اعتبار "التنمرالسيبرانيكما يشير كل من "هينديجا" و"باتشين" HindujaPatchin (2008) على أنه النتيجة الثانوية المؤسفة للاتحاد بين عدوان المراهقين والاتصالات الالكترونية، مما يثير مخاوف كبيرة (بندر،2020، ص.29-30).

واجمالا لما سبق يمكننا القول بأنّ "التنمّر السيبراني" في مفهومه العام " يتضمن أشكالا غير فيزيقية من العدوان، والتي تصمم لإلحاق الضرر بسمعة شخص ما وتدمير تقديره لذاته، ولا تقل تبعاته في خطورتها عن التنمر التقليدي. ولأنّ خبرات العدوان غير محدودة بأوقات أو أماكن معينة أو دوائر اجتماعية محدودة، فإنّ الكلمات أو الصور المهينة لا يمكن حذفها من الإنترنت بفاعلية، ومن ثمّ فإنّ دائرتها يمكن أن تظل لأعوام، ويمكن أن تتبع تلك الكلمات والصور الضحية إلى كل مكان وكل مرحلة من حياته،كما يؤكد كل من " بارغمان وبيير" Bergmann و Baier (بندر،2020، ص.31).

2.1 أشكال التنمر السيبراني: من الذاتي إلى الموضوعاتي:

تتفق مجمل الدراسات التي تناولت موضوع التنمر السيبرانيعلى أنّ "التنمر" كظاهرة عرفت انتشارا واسعا في المجتمع المعاصر، وتعددت أشكاله وتمظهراته بتعدد الفاعلين ووسائلهم ونوع الضحايا المستهدفين، غير أنّ التنمر لم يعد محصورا في السياق الاجتماعي المعيش وإنما تعداه إلى الواقع الافتراضي، الذي بات فضاء للتعارف والتفاعل والمشاحنة متى ما توفرت الأطراف الفاعلة فيه.

لهذا يمكننا اجمال أشكال التنمّر السيبراني كما أشار إليها الباحثان "بندر بن عبد الله"و"عبد العاطي " في دليلهما الإرشادي للحد من ظاهرة التنمّر السيبراني بتصرّف كالتالي (بندر،2020، ص:38-41):

- **التهييج Flaming:**
- ويكون الهدف منها هو استثارة مشاعر الغضب والقلق لدى الضحية بأي شكل من الأشكال وبدوافع متعددة.
- **المضايقة عبر الأنترنت Online Harassment:**
- وتستمر لفترات متعاقبة هدفها هو ازعاج الضحية ومضايقته المستمرة عبر الأنترنت بإرسال رسائل مسيئة.
- **المطاردة السيبرانية Cyber-stalking :**
- وهي المضايقة المتضمنة لتهديدات بإلحاق الضرر عبر الأنترنت والملاحظ أنّ هذه الأخيرة تحمل نوعا من التهديد والترصّد للضحية المستهدفة بغية تحقيق أهداف وغايات معينة من هذا الاستهداف.
- **تشويه السمعة أو التصيّد Denigration or Trolling:**
- يقوم هذا الشكل من التنمر على مفهوم الفضيحة ومحاولة ادخال الضحية في دائرة المواجهة غير المباشرة مع الضمير الجمعي أو المجتمع، وذلك من خلال اقتناص الفرص وجعلها ورقة ضغط على الضحية ومحاولة التشهير السلبي بها وبأي طريقة كانت بشكل علني وصريح.
- **التنكر Masquerading:**
- وهو ادعاء المتنمر بأنه شخص آخر وارسال أو نشر مواد حول شخص ما بطريقة تجعل الضحية يبدو سيئا، ويشير التنكر إلى أسلوب تنمري يتطلب قدرا من الذكاء من جانب المتنمر وهو يتضمن التظاهر.
- **الانتحال Impersonation:**
- ويعتبر الانتحال شكل ذكي من أشكال التنمر السيبراني باعتباره محدود الوجود كونه يتطلب وعيا معلوماتيا جيدا، وكذا مهارات تقنية عالية وتحكّم في وسائل الفضاء

الافتراضي والمرونة في تحقيق ذلك من خلال الاستيلاء على حساب أحد الأشخاص والتصرّف به بشكل مسيء.

- **التسلية Outing:**
- وتتمثل في ارسال أو نشر مواد حول شخص ما تحتوي على معلومات حساسة أو خاصة أو مزعجة، كما أنه يتضمن العرض أو النشر أو اعادة ارسال بيانات أو صور شخصية أو أسرار لجمهور عام،ويكون الغرض من ذلك التسلية والاستمتاع بتحقيق لذة معينة من خلال التشهير والابتزاز المعنوي للضحية.
- **الإقصاء الاجتماعي Social Exclusion:**
- وهو طرد شخص ما من مجموعة عبر الأنترنت بشكل متعمّد وقاس (Denmark, 2014,P.33)، إذ يُعَدُّ الإقصاء الاجتماعي عملا متعمدا يوضح للأفراد أنهم ليسوا جزءا من المجموعة وأنّ وجودهم غير مرغوب فيه.
- **الصفعة السعيدة Happy Slapping:**

وهي قيام أحد المراهقين بصفع أحد الأشخاص وتوثيق ذلك بفيديو وصور ويتم تداولها عبر الأنترنت والتنمّر عليه، ولكن غالبا ما يكون هذا النوع من التنمّر قابل لأن يعاقب فاعله من خلال كشف هويته.

ويظهر لنا جليا من خلال أشكال التنمر السابقة الذكر، أنّ الشخص المتنمر هو الفرد الفاعل في الموقف دائما، كونه يحاول استهداف ضحية معينة سواء تربطه بها علاقة واقعية أم لا، بحيث تتعدد دوافع المتنمر بين النفسي والاجتماعي وحتى المادي، غير أنّ الفضاء الافتراضي يجعل نوعا من التمويه في سياقية العلاقة، وذلك من خلال إمكانية انتحال الشخصية أو إخفائها.

فالفضاء الافتراضي يعتبر فضاء كاذبا بامتياز، كونه لا يعترف بجنس المتنمر ولا شكله ولا لونه ولا مستواه، وإنما يتم العمل على التحكّم في تحديد التعريف الشخصي للمتنمر

بشكل مُتَعَمّد وكاذب في أغلب الأحيان، وهو ما يفتح المجال للتلاعب والعدوان الافتراضي على البقية بكل أريحية.

2.المراهق والتنمّر السيبراني: التمظهرات والقيمة:

1.2 التنمّر السيبراني والنوع الاجتماعي:

تعتبر العلاقة القائمة بين "التنمر السيبراني" كظاهرة اجتماعية والقيّم علاقة وطيدة حتى وإن لم تظهر لنا بشكل واضح وعلني، والمتتبع لأشكال التنمر السيبراني عبر مواقع التواصل الاجتماعي سيجد لا محالة نوعا من التصنيف أو التبويب الذي يجعلنا نتحدّث عن أشكال أو تمظهرات مختلفة للتنمر السيبراني، سواء تعلّق الأمر بموضوع التنمر أو وسائله أو حتى المشاركين فيه إما كمتنمرين أو كشاهدين على التنمر في حد ذاته.

وتشير دراسات المجلس القومي الأمريكي لمنع الجريمة National Crime Prevention Council إلى أنّ كلا من الذكور والإناث يمارسون التنمر عبر الأنترنت تماما كما يمارسونه وجها لوجه، وأنّ الذكور يركزون في التنمر السيبراني على ارسال رسائل ذات طبيعة إباحية أو عن طريق التهديد بالتشاجر أو الإيذاء لشخص آخر. ويتركز التنمر السيبراني لدى الإناث في نشر الشائعات وإرسال الرسائل التي تسخر من شخص ما أو تطرده من مجموعة عبر الأنترنت كما تقوم الفتيات بكشف أسرار الآخرين .(Mitchell,2011,P.18)

والنتيجة هذه تؤكد لنا العلاقة القوية بين التنمر كسلوك والنوع الاجتماعي في مستويين: مستوى اختلاف موضوع التنمّر وشكله باختلاف الجنس وهو ما يعكس لنا طبيعة الاختلاف بين الجنسين وانتقاله من الواقعي المعيش إلى الافتراضي، والمستوى الثاني يتمثّل في المعيار القيمي المجتمعي في النظر إلى النوع الاجتماعي وكيف أنّ التنمر وشدته يختلف باختلاف جنس المتنمر عليه إن كان رجلا أو امرأة بما تحمله هذه الثنائية من دلالة قيمية معيارية ثقافية.

كما أنّ التنمر السيبراني يعتبر حالة انعكاسية للتنمر على المستوى الواقعي، وذلك من خلال احتفاظه بذات الحمولة الدلالية المجتمعية، حيث أنّ البيئة الاجتماعية الواقعية تحمل ترسانة من المعاني والرموز الدلالية، التي انتقلت من سياقها الفعلي إلى سياق آخر برمزية أخرى كوضع، لكن كدلالة وكمعنى حافظت على ذات الأطر الدلالية المجتمعية.

وهذا يحيلنا ضمنيا لضرورة النظر للعلاقة القائمة بين التنمر السيبراني والأطر المرجعية الثقافية، دون إغفال أهمية الجانب النفسي في ذلك، فالمؤكد من كل هذا هو العلاقة القوية بين ثنائية "الثقافة والشخصية"، وفيما يلي بيان ذلك:

2.2 التنمّر السيبراني والإطار المرجعي الثقافي: القيمة والقيمة المضادة:

يتضح لنا من خلال البحث في بعض الصفحات والمجموعات التي تقوم على فكرة التواصل عموما والتنمر خصوصا، أنّ البعد الثقافي القيمي والمعياري حاضر بقوّة في هذا النوع من السلوكات سواء كخطاب أو كدلالة.

خاصة وأنّ التنمر السيبراني يتضمّن مستويات مختلفة من الاتصال، الاتصال الخاص مثل المحادثات والرسائل النصية، والاتصال شبه العام مثل إرسال رسائل أو محادثات مزعجة، والاتصال العام مثل إنشاء موقع إلكتروني مخصص للسخرية والاستهزاء بشخص معيّن" (بندر،2020، ص.39).

إذ يعتبر هذا الأخير شكل من أشكال العنف الالكتروني الذي تعدى المجال الخاص إلى المجال العام، خاصة وأنه يقوم على المشاركة والتفاعل العلني، والاتفاق الضمني فيه قائم على فكرة "التنمّر" بالأساس، مهما اختلفت وسائل وسيميولوجية الفعل التنمري.

وفيما يلي عرض لبعض أشكال وتمظهرات التنمّر العام وتجليات القيم الثقافية فيه سواء بالمعنى السلبي أو الإيجابي:

- **مجموعة Mix de soirée:**

وهي مجموعة في موقع الفايسبوك تحتوي على لعبة "**تزوجك بلا ما تفيق**" أين يتم وضع صور لشباب وشابات على أساس أنهما مناسبان لبعضهما البعض، ويفتح المجال للباقي لأجل التعليقات وتتوالى التعليقات الساخرة والتنمّر على الزوجين الافتراضيين بالتأكيد على الفروقات الموجودة بينهما، ومدى التوافق الحاصل بين الزوجين الافتراضيين إما بمعيار الجسد أو الجمال أو الشكل عموما. وهو شكل من أشكال التنمّر الذي يحمل عدّة قيم تصل لحد التناقض، فنجد ضمنه القيمة والقيمة المضادة، خاصة حينما يتعلّق الأمر بموضوع الجنس الآخر وتمثلات الجمال والجسد.

كما أنّ المتمعن في الدلالات الخطابية للمتنمرين يستشف عدّة قيّم معيارية يقوم عليها الفعل التنمري في هذه المجموعة، وكلها دلالات لها خلفية تصورية وأخرى قيمية ثقافية. والواضح من هذا السياق التفاعلي أنّ الهدف هو التسلية والترفيه ولكن الضمني الذي يحمل صفة الخطر على الذات المراهقة والشبابية من كلا الجنسين هو السير نحو لا قيمة القيمة، أين يتم تجاوز الحدود الشخصية والأخلاقية وفقا لشرعية جماعية اجتمع فيها الهدف (التسلية) مع القيمة الموازية وهي الرغبة في الجنس الآخر ومحاولة بناء الاعتراف الجنسي بالنوعين (ذكر وأنثى)، ليتحوّل المطلوب إلى قيّم نقيضة تحدد ملامح الحدود الفاصلة ثقافيا بين امرأة ورجل، وهي مفارقات خطيرة قد تحمل في طياتها اقصاء للحدود الفاصلة بين الخاص والعام على مستوى التمثّل والفعل معا خاصة وأنّ المتفاعلين في المجموعة هم من يقومون شخصيا بإرسال صورهم.

- **مجموعة "زواج في غربة":**

وهي مجموعة خاصة بالمغتربين، أين يتم البحث عن زوجة من خلال الفايسبوك وتتوالى التعليقات الساخرة والتنمّر على الشخص بعبارات عدّة تعكس نوعا من الاستهجان والسخرية، منها عبارة: "الزواج في الواقع وليس في المواقع..."، وهي عبارة تحمل دلالة

ثقافية ضمنية تعكس الوعي الثقافي الجمعي الذي يحدد النقيض بين ثنائية "القداسة" و"التفاهة"، فبالرغم من الاعتقاد الجازم بعدم جدية هذا النوع من التفاعلات إلاّ أنّ الاستبطان الثقافي القيمي يتغلب في كثير من الأحيان على رد الفعل التنمري في حد ذاته.

والمفارقة الحقيقية في كل هذا هي اعتبار الزواج كقيمة مجتمعية مقدسة لها من القداسة ما يجعلها محاطة بجملة من المعايير الصارمة والمحددة سلفا وفقا للمتفق عليه ثقافيا، وفي نفس الوقت يظهر النقيض من خلال السعي الجاد لبناء علاقات افتراضية تتعدى حدود التسلية إلى تجسيد الزواج الافتراضي ومحاكاة الواقع الزواجي افتراضيا وهنا تحديدا تتجلى سيولة القيمة الاجتماعية في ظل تفاعلات وعلاقات الفضاء الافتراضي، وكلها تجليات للفعل التنمري خاصة تجلياته الخطيرة على ذات في طور التشكّل وهي ذات المراهق أو المراهقة.

- **مجموعة "تنمر جزائري أصيل":**

وهي مجموعة تنطلق من فكرة مفادها أنّ التنمر كسلوك وفعل افتراضي يمكنه أن يكون سمة أساسية تعكس هوية مجتمع بذاته، وكأننا أمام التنمّر كخاصية تكتسي طابعها وشكلها وفقا للأطر الثقافية الهوياتية المختلفة، كما أنّ استخدام لفظة أصيل تحيلنا للحديث عن التمثل الخاص بالتنمر متى ما ربط بالشخصية الجزائرية.

وهي رؤية تعكس لنا ارتباط التنمر كسلوك عدواني بتمثلات جمعية مجتمعية استطاعت أن تضفي عليه صبغة إيجابية رغم كينونته السلبية، وهو ما عبّر عنه ربما الاتجاه الاثنوميتودولوجي عن طريق "جارفينكل" في حديثه عن الفعل المنعكس والبيئة المرتبطة بالمعنى، وكيف تتشكّل حلقة انعكاسية تربط بين التمثّل والفعل.

وتقوم هذه المجموعة على فكرة التنمر لكن بمعنى توظيف كل ما يعكس الثقافة الجزائرية الأصيلة، وهنا تتحدد عديد المفارقات الذهنية والدلالية والتأويلية.

كما تظهر لنا القيمة والقيمة المضادة بشكل نسقي يقصي سلبية القيمة شكليا دون القدرة على إقصائها الفعلي والواقعي.

وهو يربط بذلك بين الذهنية المجتمعية الجزائرية والتنمّر الجزائري، فكلمة جزائري هي لفظ نسبة يحيل ضمنيا ودلاليا لربط التنمر بالشخص الجزائري والمشترك بينهما هو العنف والعدوان، كأنهما قيمتان أصيلتان ومتأصلتان في الهوية المجتمعية والفاعل الجزائري.

- **مجموعة "Entre Nous":**

تحتوي هذه المجموعة على أزيد من مليون مشترك، وهي قائمة أيضا على فكرة تبادل الصور والفيديوهات وفتح المجال للتنمرّ والتعليقات على عدّة مواضيع ومستويات، وفق اتفاق ضمني بالانتماء لذات الذهنية والهدف وهو الفعل التنمري في حد ذاته، الأمر الذي يجعلنا ننظر للتنمر بنظرة ثقافية أبعد، تجعل تأثيراته النفسية في أولى اهتمامات التحليل البحثي وتتعداها بالنظر لسيرورة انتقال وتحوّر "التنمّر" إلى نمط تفكير بل ونمط عيش جماعي.

فالتنمّر بات يحاول التكيّف من خلال أفعال المتنمرين وتمثلاتهم في النطاق القيمي المشروع جماعيا، وهذا مؤشر خطير يجعلنا ندق ناقوس الخطر، خاصة وأنّ المراهق في هذه المرحلة تحديدا يسعى نحو الاعتراف والبحث عن الانتماء، وبالتالي سيعتبر الإقصاء الاجتماعي في الفضاء الافتراضي بالنسبة له رهان حقيقي يوجب عليه كذات فاعلة ضمنه أن يتبنى نفس الذهنية ويمارس هابيتوس التنمّر ليضمن البقاء والانتماء للجماعة سواء واقعيا أو افتراضيا، فالأمر بالنسبة له قد يتحّول من مجرد فعل ترفيهي عابر إلى شكل من أشكال تحقيق الذات بالاعتراف.

- **مجموعات الــميمز MEMES:**

وهي مجموعات تخص تبادل الفيديوهات والصور والمواقف التي تحتاج لتعليقات ساخرة وناقدة وقاسية إلى حد ما، وتتعدد بتعدد المجالات الجغرافية وحتى الموضوعاتية.

تستخدم مؤثرات صوتية معينة ترافق القصف المعنوي واللفظي للضحية المتنمر عليها مع تركيزها على مواضيع تعكس الثقافة المحلية: كالدين، والعادات، والمواضيع المجتمعية المهمة: كالزواج والحب والخيانة والوفاء والصدق وغيرها، وهي عديدة جدا منها على سبيل المثال: مجموعة: (Bel ABBES MEMES، memes acm.، Algerien MeMes، National Memes Algerian، MEMES.DZ، ROYAL MEMES...).

والواضح من خلال هذه المجموعات أنّ المنطلق والظاهر هو السخرية والتسلية والانتقاد والتنمر، غير أنّ المتضمن فيها هو انعكاس لقيم مجتمعية معيارية ظاهرة في شخصية كل متنمر، تحدد لنا الفروقات الظاهرة بين ما نسميه بالتمثلات الفردية والتمثلات الاجتماعية التي تحدث عنها العديد من الباحثين منهم ايميل دوركايم.

فالتمثلات الاجتماعية لا تعني أبدا مجموع التمثلات الفردية (المتعلقة بالبيئة المحدودة والشخصية التي يعيش في سياقها الفرد)، بل التمثلات الاجتماعية أبعد من ذلك، فهي تعكس لنا المشترك الثقافي والقيمي.

ونستطيع من خلال تحليل محتوى التعليقات والانتقادات الصادرة عن المتنمرين ذلك الجانب الاجتماعي المشترك، والذي يعكس لنا الانتماء الثقافي، حتى وإن لم يبدو ظاهرا بشكل علني وواضح، وكأننا أمام ثقافة في عصر الافتراضي تعبر عن ذاتها بنشر ثقافة التنمر، وهي بمثابة محاولة جماعية للانفلات من رقابة الضمير الجمعي ولكن في نفس الوقت بتوجيه منه معياري محض.

كما يظهر لنا نوع من الشمولية في اجتياح التنمر لكل مجالات الحياة الاجتماعية ولكن على المستوى الافتراضي، سواء تعلّق الأمر بالمجال السياسي أو العاطفي (مجموعة

شعبون الحب في الجزائر) أو الاجتماعي الثقافي (مجموعة Algerian Cringe Archive IV، مجموعة قعدة بابارية، مجموعة el-3amigou، مجموعة Influencers News أو الرياضي (مجموعة Foot ballTrol) وصولا لصورة أكثر شمولية وهو التنمّر الوطني (مجموعة تنمر وطني: تنمر على جميع ولايات الجزائر).

وهو أيضا مؤشر خطير للربط بين القيمة ونقيضها بشكل يضفي نوعا من الشرعية الجماعية على ما هو مرفوض وفقا للشرعية القيمية والاجتماعية المعيارية، وهنا ربما نستشعر كيف أنّ الفضاء الافتراضي بات مجالا لاستعادة الحرية في ظل غياب الرقابة الاجتماعية الصارمة، وهو ما يؤكد الفكرة القائلة بأنّ " القوّة الحقيقية لمواقع التواصل الاجتماعي تكمن في كونها قابلة للتعامل مع الطبيعة البشرية والتي ترغب دائما في التواصل والمشاركة وتكوين العلاقات الجديدة، لذا كان من السهل على تلك المواقع أن تكون مصدر جذب للعديد من الأشخاص "(Hugh Brooks, Ravi Gupta، 2017، ص.60).

ويتحدد الجانب الأقوى في هذا الجذب من خلال منح امتياز الحرية والانفلات من الرقابة، بحيث "ينتج عن إعطاء المستخدمين الحرية الكاملة في تزويد المعلومة ما يسمى بالفائض المعرفي، وهنا يكمن السبب الآخر في نجاح مواقع التواصل الاجتماعي ألاّ وهي فكرة الفائض المعرفي في إطار أوقات الفراغ، والتي تكون في متناول الفرد والذي يستخدمها في إنشاء معلومات وليس في القراءة فقط..." (Hugh Brooks, Ravi Gupta،2017 ص.60).

وعليه وإجمالا لما سبق يمكننا القول أنّ الفضاء الافتراضي هو فضاء واقعي بشكل افتراضي لأنه استطاع أن يحمل ترسانة العلاقات والقيم في نطاقه بشكل أكثر مرونة وتضادا، وبين هذين المفهومين يتحدد معطى الشمول.

فالفضاء الافتراضي استطاع أن يقصي المسافات المكانية والقيمية والوجدانية بإعطائه مساحة أكبر لهوامش الحرية من جهة، ومساحة أعظم للخوض في كل المجالات الحياتية، ومنها تمثلات "الجسد الأنثوي" في سياق "التنمّر السيبرانيوتمثلات الجسّد"، ولعّل مجموعة La puissance d'Oran تعكس لنا جزءا من هذا الواقع الافتراضي إذيتم عرض صور لشابات وفقا لجيلين مختلفين بحيث يظهر الاختلاف من ناحية كمال الجسد الأنثوي لشابة ولدت في التسعينات مع أخرى في الألفية ويتم التنمر على الأولى مقارنة بجسم وجمال الثانية واكتمالها.

وكل هذا يعكس لنا تمثلات الجسد الأنثوي ومعايير الجمال بالمعنى الذكوري والأنثوي في نفس الوقت، وهي كلها قيم تحمل المتناقضات والمترادفات، وتعكس الثقافة في صورتها المكتملة وفق مبدأ اللاتجانس.

3.التنمّر السيبراني وتمثّل الذات والسيطرة:

يمكن لتمثّل الذات والآخر وفقا للنوع الاجتماعي أن يحدد إلى حد كبير نمط التفاعل عبر مواقع التواصل الاجتماعي، كما يحدد هامش التنمر وشكله بل وموضوعه باختلاف النوع الاجتماعي من جهة، ومن جهة أخرى يتجلى المنطق الرمزي للقوّة وبالتالي السيطرة، سواء تعلق الأمر بالنظر إلى علاقة رجل-امرأة أو علاقة متنمر-متنمر عليه وهو ما يؤكد فكرة التفاضل في القوّة وعدم التكافؤ، مما يوسع من دائرة السيطرة لطرف على حساب آخر.

ولعل البحث عن تحقيق السيطرة من طرف المتنمر خاصة إذا فقدها في واقعه المعيش يحدد بشكل غير مباشر شكل التنمر في حد ذاته، إذ "يأخذ التنمر السيبراني حسب تأكيد Asanan (2017) تلك الأشكال بسبب إدمان المستخدمين للإنترنت فهؤلاء الأشخاص لا يمكنهم العيش دونها لأنه الوقت الوحيد الذي يشعرون خلاله بأنهم أحياء، فالدخول إلى

الأنترنت يعطيهم شعورا بالسيطرة والأمان لأنّ الهوية تبقى مخفية، ويجدون أنفسهم في منطقة مريحة (بندر،2020، ص.38).

وتتجلى هذه الأريحية من خلال المرونة التي يمنحها الفضاء الافتراضي لمرتديه على عكس الواقع الفعلي، بحيث يستطيع"المتنمرون السيبرانيون إخفاء هويتهم من خلال استخدام أسماء زائفة وعناوين أنترنت مخبأة جيدا، كما يشير كل من "هوف وميتشيل" (2009) Hoff و Mitchell ، وهو ما يترك الضحية ضعيفة وغير مستقرة (بندر،2020، ص.30).

و ربما تتعارض هذه الفكرة إلى حد ما مع ما جاء في دراسة كريمة عبد الكافي (2019) حول " الشبكات الاجتماعية كمنصات افتراضية لعرض الذات في الحياة، دراسة على عينة من الشباب الجزائري المستخدم لـــ facebook والتيهدفت للتعرّف على كيف يقوم الشباب الجزائري ببناء ذواتهم الافتراضية عبر فيسبوك، وما طبيعة عرض ذواتهم من خلال الدردشة الالكترونية عبره، وقد توصلت الدراسة إلى أنّ الاتجاه الغالب لأفراد العينة يميل للتأكيد على أنهم يقومون ببناء ذواتهم الافتراضية كذوات حقيقية بنسبة 88 % ، فالأغلبية منهم يملكون حسابا واحدا بنسبة 72 % ، ويستخدمون أسماء حقيقية بنسبة 65 %، كما أنّ الذكور يضعون صورهم الفعلية ولا يمانعون في نشرها بنسبة 67 % عكس الإناث اللواتي يرفضن ذلك تبعا لأسباب وخلفيات اجتماعية تتماشى وطبيعة التفكير السائدة في البيئة المحلية (رفاعي، 2021، ص174-175).

وهنا يظهر شكل آخر من أشكال فرض السيطرة بين الذات الافتراضية الحقيقية والذات المستعارة، خاصة إذا كانت الذات الحقيقية في مرحلة المراهقة وانعدام الوعي المعلوماتي الكافي، الأمر الذي يجعلها في حالة ضعف دائم لعدم التكافؤ في القوّة مع الطرف الآخر، سواء من ناحية السن أو ذخائر الخبرات أو المرونة المعلوماتية، إضافة للاستقلالية

النسبية عن سلطة اليجب واللايجب، وهنا تحديدا تتعاظم الآثار السلبية للتنمر السيبراني بكل أشكاله ووسائله وفاعليه.

خاصة وأنّ المتنمر هو ذات مزيفة تنطلق من فكرة التنمّر كاقتناع لتحاكيه كممارسة أو كعادة روتينية يحقق من خلالها ذاته بفرض السيطرة على أي ذات أخرى تتوافر على كل المواصفات التي تجعلها خاضعة وقابلة للسيطرة وفقا للنوع الاجتماعي والسن والوعي المعلوماتي ودرجة النضج.

وعليه وإجمالا لما سبق يمكننا القول بأنّ التنمر السبيراني هو عنف الكتروني له آثار سلبية ومدمرة للذات المراهقة التي تبقى ذاتا في طور التشكّل، وهذا ما يتفق مع إشارة الباحث "ماكاروفا" Makarova" (2019) لنتائج بحوث علم النفس وعلم الاجتماع والتربية،والتي تؤكد على أنّ المراهقين يواجهون اضطرابات نفسية ناجمة عن التنمّر السيبراني بشكل يفوق التأثيرات الناجمة عن التنمّر التقليدي" (بندر،2020، ص.27).

وهي ذاتها النتيجة التي يؤكدها أستاذ علم النفس بجامعة كاليفورنيا "لاريروزين" من أنّ الافراط في استخدام موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك يسبب اضطرابات نفسية وبخاصة لدى فئة المراهقين، حيث قدّم نتائج دراسته بناءا على اجراء استبيان شمل 1000 مراهق، ومراقبة 300 آخرين لمدة 15 دقيقة، وهذا ما يبرر ازدياد الأنانية عند المراهقين وكثرة الاضطرابات النفسية والميولات العدوانية إضافة للقلق والاكتئاب... (حسنين،2017، ص.22).

4. خاتمة:

لا يخفى علينا مما سبق أنّ التنمر هو ظاهرة اجتماعية استطاعت أن تتعدى حدود الزمان والمكان والوسيلة لتحمل عدّة أشكال من العنف الرمزي الذي بات يرافق تفاعلات الفضاء الافتراضي.

ولأنّ الشباب والمراهقين فئة مهمة في المجتمع بات من الضروري البحث الجدي في طبيعة العلاقة بينهم وبين هذا الفضاء، وكيف أنّ الحلقة التي تربط بين واقعهم المعيش وواقعهم الافتراضي حلقة تتأرجح بين القيمة ونقيضها من جهة، وبين التمثّل الذاتي والضمير المجتمعي المعياري. كما أنّ التنمر السيبراني بات نمط حياة يعايشه ويعيشه المراهقون سواء بوعي أو من دونه.

ومهما اختلفت قوّة مشاركتهم في ذلك يبقى الأهم هو البحث في ما خفي من تلك العلاقة السائلة، التي باتت تهدد الكيان النفسي والاجتماعي وحتى الثقافي القيمي لجيل الأنترنت. بل أبعد من ذلك بات التنمر السيبراني شكل من أشكال فرض السيطرة وتحقيق الذات ونقله من سياق القيم السلبية لسياق يحمل دلالات الإيجابية والحرية وتحقيق الذات والاعتراف. وبات الحديث عن الإنجازات في اطار التنمر وتحقيق الـــ Buzz مؤشرا خطيرا لتحوّر التنمّر لنمط عيش وأسلوب من أساليب رد الاعتبار وتحقيق الذات ولو افتراضيا في فرض السيطرة على الآخر بأي وسيلة كانت.

لهذا بات من الضروري إعادة هيكلة الوسائل الضرورية لترقية الحس القيمي لدى المراهقين تحديدا، وتنمية الوعي المعلوماتي لديهم بما يعزز من مناعتهم القيمية ويجعلهم في موضع تكافؤ القوى متى ما قرروا التفاعل افتراضيا والإبحار في الفضاء الرقمي ومواقع التواصل الاجتماعي بما تحققه لهم من إشباعات نفسية ومعرفية وحتى قيمية.

5. قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

بندر بن عبد الله الشريف (2020) ، عبد العاطي عبد الكريم محمد أحمد، دليل إرشادي للحد من ظاهرة التنمّر السيبراني، ***دراسات عربية في التربية وعلم النفس***، (ASEP) العدد 127، نوفمبر، ص:25-92

حسنين شفيق (2017)، ***صحافة الفايسبوك، مصادر الأخبار من وكالات الأنباء إلى الفيسبوك هل يسحب فيسبوك البساط من الصحافة***، دار الكتب، مصر.

أشكال التنمر في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية بين الطلاب المراهقين بمدينة أبها، ***مجلة كلية التربية***، جامعة الأزهر، العدد (168 الجزء الأول)، أبريل 2016، ص:441-474.

رفاعي أحمد محمد، عبد الرحمان أسامة محمد (2021)، **استخدام المراهقين لمواقع التواصل الاجتماعي وادراكهم لأضرار التنمّر الالكتروني**، ***المجلة المصرية لبحوث الاتصال الجماهيري***، كلية الاعلام، جامعة بني سويف، مصر، عدد ماي، ص:167-

Hugh Brooks, Ravi Gupta (2017)، ***وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيرها على المجتمع***، ترجمة عاصم سيد عبد الفتاح، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة مصر.

المراجع باللغة الأجنبية:

Denmark, J (2014),**Cyberbullying as a peer group process: Perspectives from the preteen student**, A doctoral dissertation, Walden University.

Mitchell, M (2011), **Cyberbullying and academic achievement: Research into the rates of incidence, knowledge of consequences, and behavioural patterns of cyberbullying**. A doctoral dissertation University of Connecticut.